الفصل السادس

القصيدة القاتلة!

ماذا أقول لأدمع سفحتها أشواقى إليك؟

ماذا أقول لأضلع مزقتها خوفا عليك؟

أأقول هانت؟! أأقول خانت؟

أأقولهـــا؟

لو قلتها أشفى غليلى

ياويلتى.. لا، لن أقول أنا،

فقولـــى..!

كامل الشناوى

كان كامل الشناوى شاعرا عاشقا حساسا يعيش بأعصاب متوترة تنفعل بكل ما يدور حوله، خاصة الجانب العاطفى...

فقد كان يعشق الجمال، ويحب المرأة وحينما يحب كانت كل ذرة فى كيانه تنفعل بتلك العاطفة، بكل ما فيها من مد وجزر، وحينما كان يفجع بظروف هجر أو غدر كان يشعر بالدنيا تميد تحت أقدامه، ويفقد توازنه، ويصبح معلقا بين الأرض والسماء.

وكانت أكبر تجربة فى حياته هى حبة للمطربة «المينيون» التى أحبها بكل كيانه وبذل لها كل مشاعره وعواطفه وشعره ورتل فى محرابها أجمل أناشيده الغنائية.

وعندما اكتشف غدرها شعر كأن هناك نصلا حادا يخترق صدره وكانت مأساة النهاية!

وقد تناثرت حكايات كثيرة عن هذا الحب المستحيل فى حياة كامل الشناوى وكيف صنع كامل لحبيبته المطربة تمثالا من الوهم الجميل تعبد فى محرابه وقدم دموعه ونبضات قلبه قربانا لهذا الحب لكن دون جدوى حتى اكتشف الوهم الكبير الذى حطم قلبه وكان أحد شهود العيان لنهاية تلك القصة.. صديقه الكاتب الصحفى الكبير مصطفى أمين الذى روى لنا ما حدث فكانت هذه هى روايته لتلك المأساة العاطفية فى حياة كامل الشناوى:

كان الشاعر[1] كامل الشناوى فى شبابه يرتدى العمامة والجبة

(١) مصطفى أمين/ شخصيات لا تنسى/ دار المعارف/ ١٩٨٨.

والقفطان وكان طالبا فى الأزهر، يهرب من حى سيدنا الحسين، حيث المساجد والمآذن والدروس الدينية ويذهب إلى شارع عماد الدين حيث المسارح ودور السينما وصالة بديعة .

وكان منظر كامل عجيبا بعمامته الكبيرة وجسمه الضخم وهو يجلس فى قهوة الفن بشارع عماد الدين بين كبار الممثلين وكبار الممثلات وكبار النقاد والصحفيين.

ولم يلبث كامل حتى خلع الجبة والقفطان وارتدى الجاكت والبنطلون، وترك الأزهر الشريف والتحق بمدرسة الحقوق الفرنسية، ثم هجر دروس القانون كما هجر دروس الدين وقرر أن يعيش شاعرا فنانا يعيش فى بيوت الشعر وفى دواوين الشعراء.

وكان أبرز صفاته خفة دمه، يقول النكته فتصبح على كل لسان، كأنها أغنية من أغانى أم كلثوم أو عبد الوهاب!.

وفى وقت قليل أصبح من ظرفاء مصر مثل حافظ إبراهيم ومحمد البابلى والشيخ عبد العزيز البشرى وفكرى أباظه وسليمان نجيب.

وقد عرفته أول ما عرفته عندما كنت نائبا لرئيس تحرير مجلة روزاليوسف، وكان كامل يتردد على منزل السيدة روز بشارع الحواياتى بالقاهرة ويعطى ابنتها الطفلة آمال طليمات دروسا فى اللغة العربية .

وما يكاد ينتهى من الدرس عن المبتدأ والخبر وصيغة منتهى الجموع حتى يدخل غرفة الصالون فيجد عددا من محررى روزاليوسف وأصدقائها وينقلب درس اللغة العربية إلى ضحك ومرح ودعابة ومقالب ساخرة، كان يجيد تقليد أصوات الزعماء والوزراء والكتاب، وكم من مرة تكلم باسم شخصية معروفة فى التليفون، وهاجم شخصية أخرى فأغضبه

وأثاره، وقد صدق أن الشخصية المعروفة هى التى تتكلم وهى التى خرجت عن حدالأدب، وتقوم خصومة بين الشخصيتين قد تصل إلى حد الهجوم على صفحات الصحف، إلى أن يكتشف الاثنان أنهما كانا ضحية لمقلب من مقالب كامل الشناوى.

وكان لا يكره فى الدنيا إلا ثقل الدم، فإذا دخل مكتبه رجل ثقيل ضاقت به الدنيا وشعر بالاختناق واستنجد بعدد من الظرفاء من أصدقائه لينقذوه من الغرق فى الدم البارد والثقيل .

وفوجئنا ذات يوم فى أثناء الحرب العالمية الأولى بأستاذ فى الجامعة يقتحم سهراتنا فى جريدة الأهرام، وكان الأستاذ حجة فى عمله، جم الأدب، ولكنه كان لسوء حظه ثقيل الدم لدرجة أنه إذا دخل إلى فرح حوله إلى مأتم، وإذا سمع نكتة حولها إلى نظرية علمية فتموت الضحكات فوق الشفاه وحاول كامل أن يتخلص منه بكل الأساليب والوسائل، والرجل الثقيل يزداد إصرارا على أن يقاسمنا سهراتنا وينكد علينا الحياة وأخيرا رأى كامل الشناوى أن يرغم صاحبنا الثقيل أن يكون خفيف الدم، وأقنعه أن دكتوراه العلوم التى يحملها لا تساوى شيئا فى ذلك العصر، وخير له وأربح أن يكون دكتورا فى السحر والشعوذة ! ووعده بأن يكون كل محررى الأهرام مساعدين له وصبيانا فى عملية السحر والدجل، واتفق معه على أن يدعى أنه يستطيع إذا عرف تاريخ ميلاد رجل أن يعرف بعمليات طرح وضرب وجمع وقسمة اسم زوجته أو اسم صديقته أو اسم خطيبته.

ويدخل الضحية إلى مكتبى ويسأله الدكتور عن تاريخ ميلاده ثم يغادر الدكتور الغرفة وتسأل الضحية عن اسم زوجته أو خطيبته فيهمس بها فى أذنى، فأهمس بها فى أذن جارى، ويهمس بها الى جاره حتى يصل اسمها إلى المحرر الذى يجلس عند باب الغرفة، فيفتح الباب فى هدوء ويخرج

وبعد دقائق يقتحم الدكتور الساحر الغرفة، ويمسك ورقا وقلما ويكتب أرقاما يجمعها ويطرحها، ويضربها ثم يقول له: اسم زوجتك فاطمة!

ويذهل الضحية ويعجب من كفاءة الدكتور فى السحر وفى معرفة الغيب وكان كامل الشناوى يجلس فى بار اللواء، وكان الجنود والضباط الإنجليز يترددون على قهوة اللواء، وأشاع كامل بينهم أن هذا الدكتور ساحر عظيم فأقبلوا عليه يرجونه ويتوسلون إليه أن يذكر لهم أسماء خطيباتهم! ويأخذهم كامل إلى غرفته فى الأهرام ومعه الدكتور الساحر ويلعب اللعبة على الضباط والجنود. وخف دم الدكتور المشعوذ كثيرا، وحول مجالسنا من كآبة إلى مرح ومن جد إلى هزل، ومن مناقشات علمية جافة إلى ألاعيب حواة وشعوذة! ثم ضاق كامل بشعوذة المشعوذ الذى صنعه فأصبح يخبر الضحايا مقدما بحقيقة الدكتور المشعوذ فيشتركون معه فى اللعبة، ويضحكون على الدكتور بدلا من أن يضحك منهم!

وكان أصدقاء كامل المقربون ضحايا مقالبه، وقال له أنيس منصور يوما: «أنت يا كامل بك تزغزغ أصدقاءك بالسكاكين» وغضب كامل من هذه الحقيقة، وحاول أنيس أن يسترضيه فقال له: أننى أداعبك بأسلوبك وأتكلم بلغتك وأمزح على طريقتك ! ولكن كامل كان يحب أن يحتكر المقالب ويحتكر السكاكين، وكان قادرا أن يطلق لقبا على زعيم أو أديب فيلصق به اللقب الساخر طول حياته.

وكان كاتبا كسولا وصحفيا كسولا وشاعرا كسولا وعاشقا نشيطا، إذا كتب حذف وشطب ومزق عشرات الأوراق قبل أن يكتب ثلاثة سطور.

وإذا ذهب للقاء زعيم خطير تكلم كامل طوال اللقاء ولم يترك للزعيم فرصة ليقول لنا خبرا، كان بظرفه ولطفه وخفة دمه يحتل المجلس ويسيطر عليه، فيتحول المتكلمون إلى صامتين والمثرثرون إلى صاغين، وينتظر رئيس

التحرير نتيجة المقابلة الخطيرة إلى ما بعد منتصف الليل ثم يكتشف أن رئيس الوزراء هو الذى سكت وأن كامل الشناوى هو الذى تكلم!

وكان شاعرا رقيقا لو جمعنا شعره كله لما ملأ كتابا واحدا بينما كان لديه من الخيال والموهبة والقدرة على الخلق ما يجعله أشهر شعراء مصر.

وكان شحيحا فى أدبه متلافا فى ماله، يكتب وكأنه بخيل يكتب كمبيالة وينفق وكأنه مليونير له رصيد فى البنوك! والشئ الغريب أن كامل الشناوى كان مدينا لجميع البنوك فى مصر، ولم يترك مصرفا صغيرا أو كبيرا إلا واقترض منه وكتب له الصكوك والكمبيالات، حتى جاء يوم كانت الفوائد التى يدفعها للبنوك أكثر من مرتبه الشهرى!

وكنت تراه يقبض فى يناير مرتب شهر يوليو! لأنه سبق أن استدان مرتبات شهور فبراير ومارس وأبريل ومايو ويونيو! كان كريما إلى حد السفة لا يتردد فى أن ينفق كل مرتبه فى شراء ولاعة ذهبية وأربع كرافتات ومنديل حرير من صناعة باريس.

وكان يعتقد أن الناس أربعة: عالم يعرف أنه عالم، وهذا حكيم فاتبعوه وعالم يجهل أنه عالم، وهذا نائم فأيقظوه، وجاهل يعرف أنه جاهل فاضربوه وعلموه، وجاهل يجهل أنه جاهل، وهذا حمار فاركبوه!.

كان كامل مستعدا أن يركب كل حمار وكل غبى، وكل ثقيل الدم، وكل أحمق ويجد متعة لا حد لها فى الركوب، كان الذكاء يستهويه وكان الغباء ينفره، وكانت الموهبة تجذبه بينما الخمول العقلى ينكد عليه الحياة.

وكانت غدة الحب فى قلبه تفرز باستمرار! ما مر يوم فى حياته منذ عرفته لم أره غارقا فى قصة حب، وكنت أقول له أن قلبه كروايات سينما مترو فى تلك الأيام، كل أسبوع فيلم جديد! وكان يسمى الفتاة التى يعشقها

«آخر صيحة» فإذا مضى أسبوع على الحب بحث عن تاجر الأشياء المستعملة ليلقى فى جرابه بالحب القديم كما يرمى بالحذاء القديم!.

أحب مرة نجمة سينمائية فاتنة، وكنت أدخل مكتبة فيقول لى: «القاهرة نائمة الآن فلا ترفعوا أصواتكم حتى لا تستيقظ» وأفهم من هذا أنه سأل عن معبودته فى بيتها فعلم أنها لا تزال نائمة فاعتبر هذا دليلا على أن العاصمة كلها مستغرقة فى النوم! وإذا رآها مبتسمة عاد يقول لنا: كانت القاهرة تبتسم اليوم، الشوارع تبتسم والسيارات تبتسم والعمارات تبتسم، حتى إننى رأيت جنازة فى ميدان الأوبرا كان المشيعون يبتسمون والنعش يرقص!، وكانت المعبودة تقيم فى تلك الأيام بفندق الكونتيننتال بميدان الأوبرا!.

وأعظم هوايات كامل الشناوى كانت احتضان المواهب الجديدة، ودفعها إلى الأمام، والحماس لها، والإشادة بها، وقد سمعت اسم «عبدالحليم حافظ» لأول مرة فى حياتى من كامل، وقد كرره أمامى مائة مرة حتى أصبحت إذا رأيت كاملا بادرته بقولى: «ما هى أخبار عبدالحليم حافظ» ولما عرفت عبد الحليم جيدا وجدت أن كاملا كان صادقا فى وصفه محقا فى إعجابه به وكذلك كان الأمر مع الموسيقار بليغ حمدى.

وكان كامل متقلبا يحب ثم يكره ثم يحب من جديد، يصنع التمثال ويحطم الصنم، ثم يعود ليجمع الأنقاض ليبنى ناطحة سحاب، وكان مكتبه فى جريدة أخبار اليوم «الأم» التى تحتضن المحررين المبتدئين والفنانين الصغار والمواهب الناشئة، وكانت سعادته أن يرى هذه الزهور الصغيرة تكبر وتتحول إلى أشجار باسقة، ولم يكن يخشى أن يكبر صغيرا فيحتل مكانه وكم من صغار حملهم فوق رأسه فداسوه بأقدامهم، ونصرهم فخذلوه وشهرهم وحاولوا أن يدفنوه!

وكان ذوقه فى الحب غريبا، كان دميما ولا يختار إلا ملكات الجمال وكان ضخم الجثة ويصر أن تكون معبودته دقيقة قصيرة تكون معه رقم ٥٠ فيكون هو الخمسة المستديرة وتكون هى الصفر الذى على اليمين، وكان مخلصا أمينا فى حبه ولا يقع إلا فى هوى الغانيات المتقلبات الخائنات الغادرات! وكانت الفتاة التى تقف وحدها لا تستهويه ولا تلفت نظره، وإنما الذى يجذبه هو الزحام، فهو يحب المرأة التى حولها زحام شديد، فيحاول أن يشق طريقه إليها، ويدفعه من أمامه، ويوقف من بجواره، ويزغده من خلفه، إلى أن يصل إلى المرأة التى اختارها منهوك القوى!

وقد قلت له مره إننى ألا حظ أنه لا يحب السيارة «الملاكى» التى يستقلها وحده وإنما يحب السيارة «الأتوبيس» كاملة العدد فيتشعبط على السلم، أو يتعلق بالباب حتى يدفعه راكب آخر! فأنا لم أره أبداً جالسا مستريحا فى أتوبيس حب بل كنت أراه واقفا ينتظر أن يخلو مقعد ولا يجد محلا خاليا أبدا!

وكان كامل يقول: «إن ولعى بالجمال لا يقف عند حد فأنا أحب الجمال فى الطبيعة والفن والأخلاق والمرأة».

وعشت معه حبه الكبير الأخير وهو الحب الذى أبكاه وأضناه وحطمه وقتله فى آخر الأمر، أعطى كامل لهذه المرأة كل شئ: المجد والشهرة والطبل والزمر والدعاية والشعر، ولم تعطه شيئا! أحبها فخدعته، أخلص لها فخانته، جعلها ملكة فجعلته أضحوكة، وقد كتب قصيدة «لا تكذبى إنى رأيتكما معا» فى غرفة مكتبى بشقتى فى الزمالك، وهى قصيدة حقيقية ليس فيها مبالغة أو خيال حتى إن الموسيقار عبد الوهاب سماها «إنى ضبطكما معا»!.

وكان كامل ينظمها وهو يبكى، كانت دموعه تختلط بالكلمات فتطمسها وكان يتأوه كرجل ينزف منه الدم الغزير وهو ينظم، وبعد أن

انتهى من نظمها قال أنه يريد أن يقرأ القصيدة على المطربة بالتليفون.

وكان تليفونى بسماعتين أمسك هو سماعة وأمسكت أنا وأحمد رجب سماعة فى غرفة أخرى، وتصورنا أن المطربة ما تكاد تسمع القصيدة حتى تشهق وتبكى وتنتحب ويغمى عليها وتستغفر وتعلن توبتها وكان فى رأى أحمد رجب ورأيى أن هذا منظر تاريخى يجب أن نحضره.

وبدأ كامل يلقى القصيدة بصوت منتحب خافت، تتخلله الزفرات والعبرات والتنهدات والآهات مما كان يقطع القلوب، وكانت المطربة صامتة لا تقول شيئا ولا تعلق ولا تقاطع ولا تعترض، وبعد أن انتهى كامل من إلقاء القصيدة قالت المطربة:

ـ كويسة قوى ـ تنفع أغنيها... لازم أغنيها!

وانتهت المحادثة التاريخية ورأينا كامل الشناوى أمامنا جثة بلا حراك وكتب إليها يلعنها ويقول: «لم بعد بيننا ما يغرى بأن أخدعك أو تخدعينى، فقد خرجت من حياة نفسى! لا تدهشى... فالحياة التى أحياها اليوم لا يربطنى بها إلا ما يربط الناس بحياتهم من أمل ويأس، أو راحة وعذاب إنها حياة لا أتحرك فيها، ولكن أتمدد كجثه وهى لا تضمنى بين أحضانها ولكن تلفنى كالكفن! فى استطاعتى الآن فقط أن أصارحك بحقيقة قصتى معك، لقد خدعتينى وخدعتك، خدعتينى بكذبك الذكى وخدعتك بصدقى الغبى.. ظللت سنوات أتوهم أنك تحبيننى، فجريت وراءك بقلبى الأبله ومشاعرى الحمقاء وخلال تلك السنين كنت أنتزع من نفسى خلجاتها وأقدمها لك فى آهة، دمعة، كلمة، قصيدة، وقد دفعك إيمانك بصدق عاطفتى إلى أن تمارسى حقوق حواء بقدرة وجدارة فغدرت بوفائى وضحكت من دموعى».

وسمع كامل الشناوى أن حبيبته المطربة الكبيرة عندما علمت بعذابه قالت لأصدقائها:

- مسكين كامل الشناوى... لقد دمرته الغيرة.

وكتب كامل يقول لها «صدقينى إذا قلت لك، أننى لست مسكينا، ربما كنت كذلك لو أننى استسلمت للوهم الذى علقنى بك، ولكننى قاومته ورفضت، وجعلت من كبريائى حصنا يحمينى منك، ومن قلبى! ولا شئ يقوى أن يدمرنى لأننى أحيا وما دمت أحيا، فإن العواطف التى تهب من حولى لا تزيدنى إلا قوة على مواجهة الأعاصير، أننى لست كثيبا من الرمل، تبدده حفنه من الهواء، ولكننى جبل لا أبالى العاصفة، بل أحتفى بها، وبدلا من أن تزمجر فى الفضاء أجعلها تغنى من خلال صخورى! وليس صحيحا أنى أغار من أى أنسان تعرفينه، فالغيرة لا تكون الا ممن تحبينهم، وقد عرفت بتجربة أنك لم تحبى إلا ذاتا واحدة، ولا أستطيع أن أغار منها لأنها مختبئة فى ثيابك! إنك تحبين نفسك، وتغارين ممن يشاركونك حبها، بل إنك تناصبينهم العداء، ومن أجل ذلك عاملتنى كما لو كنت عدوك الطبيعى.. أحببتك فكرهتنى، قدمت إليك قلبى، فطعنته بخنجر مسموم»!.

ومضت المطربة تثير كامل الشناوى بأنها تعشق فلانا الطبيب، وتحب علانا المحامى، وتخرج مع ترتان المهندس!

وكتب كامل يقول لها «ليتك تعلمين أنك لا تهزيننى بتصرفاتك الحمقاء فلم يعد يربطنى بك إلا ماض لا تستطيع قوة أن تعيده إلينا أو تعيدنا إليه، كنت أتعذب فى حبك بكبرياء، وقد ذهب الحب، وبقيت لى كبريائى، كنت قاسية فى فتنتك، ونضارتك وجاذبيتك، فأصبحت قاسية فقط».

وكان كامل يحاول بأى طريقة أن يعود إليها، يمدحها ويشتمها، يركع أمامها ويدوسها بقدميه، يعيدها ويلعنها، وكانت تجد متعة أن تعبث به، يوما تبتسم ويوما تعبس، ساعة تقبل عليه وساعة تهرب منه، تطلبه فى التليفون فى الصباح ثم تنكر نفسها منه فى المساء، وكان يقول إنه لا يفهمها، وهى امرأة غامضة لا أعرف هل هى تحبنى أم تكرهنى، هل تريد أن تحبنى أم تقتلنى؟.

وكتب عنها يقول «أنا لا أفزع إلا من شيئين، آلام مرض لا أعرفه، وغموض امرأة أعرفها، وقد أتحمل آلام المرض، بأمل أو يأس، أما غموض المرأة فلا يجدى معها أملى فيها أو يأسى منها أن غموض الرجل يثير فيه ريبة أصدقائه فيبتعدون عنه، والمرأة الغامضة تثير الريبة فيمن يحبها، أن كل خلجاته، ونبضاته تظل تسأل فى حيرة عن سر هذا الغموض، إذا أبدت الرضى ظن أنها تخدعه، وإذا غضبت منه اعتقد أنها تكرهه وإذا كانت وحدها سعى إليها فيحس وحده أنه فضولى متطفل، ضيف غير مدعو ! واذا أقبلت عليه فكر فيما ينطوى عليها إقبالها من نيات ماكرة».

واستمرت لعنة الحب الفاشل تطارده وتعذبه، وكان يعتقد أن الهجر قتله وأنه لم يبق إلا موعد تشييع الجنازة! وكان يجلس يكتب كل يوم عن عذابه وكان يخيل إلى أنه كان يكتب كل يوم نعيه.

وفوجئت به يتردد على المقابر، ولم تكن هذه عادته، وسألته ماذا حدث فابتسم ابتسامه حزينة وقال: أريد أن أتعود على الجو الذى سأبقى فيه إلى الأبد..

وقد كتب يصف رحلته إلى المقبرة ويقول: «ما أعجب هذه الصحراء، كل شئ فيها يشبه الآخر الناس متشابهون فى حركاتهم والانقباض البادى فى مساحات وجوههم، القبور متشابهة، كلها أحجار وطوب وزهور، وماء يبلل الثرى، كلها يضم عظاما نخرة هنا تحت المقابر تساوت الأعمار، والقيم الشاب والشيخ، الذكى والغبى، من كان له مثل أعلى فى الحياة، ومن غادر الحياة ولم يكن له فيها مثل أو هدف! ووصلت إلى المقبرة التى تعودت أن أزورها فى أكثر من مناسبة، ففيها يرقد أحبائى الذين تركوا حياتى وذهبوا إلى حيث سنذهب مثلهم حاولت أن أبكيهم فتعثرت الدموع فى محاجرى حاولت أن أرثيهم فلم تنطق منى إلا كلمات خرساء، وقفت فى خشوع، ثم جثوت فوق التراب الذى ضمهم بالأمس وسيضمنى غدا، وحنيت رأسى إجلالا للموت الذى احتواهم بين ذراعيه وبهاتين الذراعين

سيحتوينى يوما! أيها الموت: أنا لا أخافك ولكنى لا أفهمك فمن تكون؟ هلأانت تنزف دماءنا وأعمارنا لتروى ظمأك؟ أم لتروى ظمأ الحياة؟ ما أنت يا موت وما الحياة؟ يا أسفى على أنى أعيش حياتى، ولا أعرفها، وألقى الموت دون أن أعرفه!

أيتها الصحراء يا مدينة القبور والموتى! إذا جئت إليك محمولا فى نعش فاستقبلينى بروحك الوديعة التى شعرت بها اليوم، عندما جئتك محمولا فى سيارة.

* * *

ومات كامل الشناوى ومضت السنون وقابل مصطفى أمين المطربة التى كان يعشقها كامل وقال لها: إننى كرهتك طول حياتى منذ قصيدة «لا تكذبى إنى رأيتكما معا»!

قال: إننى لم أحبه، هو الذى كان يحبنى إننى كنت أحبه كصديق فقط وطلب منى أن يتزوجنى فرفضت لأننا نختلف فى كل شئ أنا رقيقة وهو ضخم، أنا صغيرة وهو عجوز، أنا أجد متعة فى أن أجلس مع الناس ومتعته أن يجلس معى وحدى، أنا لا أريد أن يعرف الناس من أحب، وهو يريد أن تعرف الدنيا كلها أنه يحبنى!

قال لها: إن أصدقاءه يعتقدون أنك قتلته!

قالت: لا... أنه هو الذى انتحر!

سألها: تقصدين أنه انتحر حبا؟

قالت: بل انتحر غيرة!

وعلق مصطفى أمين على كلامها، ولم أصدقها طبعاً!.

عندما يعشق الشاعر السراب!

وهناك رواية أخرى أكثر تفصيلا لذلك الحب الذى كان أكبر حب فى حياة كامل الشناوى وهو غرامه بالمطربة الشهيرة التى كانت نوعا من الغزل الهروبى من طرف واحد هو طرف كامل الشناوى الذى كان يظن أن كل كلمة أو كل همسة أو كل إشارة من تلك المطربة هى إشارات إليه بأن هناك تجاوبا من الوتر الآخر لكن ذلك كان نوعا من الوهم الكبير الذى ظل يعيشه، وكان سببا مباشرا لتحطيمه جسديا ونفسيا ومعنويا حتى تحول إلى شظايا قلب، وحطام جسد.

وحول النهاية الدرامية لقصة الحب المأساوية الأخيرة تلك فى حياة كامل الشناوى يروى لنا تلميذه يوسف الشريف تفاصيل تلك النهاية التى حطمت قلب الشاعر العاشق وهو فى خريف العمر تحت عنوان: «القصة الحقيقية لخيانة المطربة الصغيرة للشاعر كامل الشناوى»، فيقول[1]:

«يكاد يجمع الذين عرفوا عن قرب الشاعر كامل الشناوى، أنه برغم القصائد الوطنية العديدة التى نظمها، إلا أنه يستحق عن جدارة لقب «شاعر الحب» الذى خلعه عليه عباس محمود العقاد، وذلك لأن الحب كان دائما طعامه وهواه ومحور حياته»!

وهو عندما دعا الشعب فى قصيدته الوطنية إلى كراهية الإنجليز «تعلم كيف تكره» فكأنما كان يحرض نفسه، ويحاول أن يجبرها على شئ لا تعرفه فهو قد حاول طوال حياته أن يكره ولم يستطع!

(١) الهلال، مايو ٢٠٠٤.

كان كامل يكتب فى كل أغراض الشعر، وصفا، ومديحا، وحماسا، ورثاء، لكن ظل الحب يستحوذ على غالب اهتمامه وإبداعاته الشعرية، ولأنه لم يتزوج قط، كان شعره أداته، ووسيلته، وملهاته التى يستشرف عبرها الجمال ويتنفس بها الحب، فاذا لم يسعفه الوحى والخيال شعرا، استعاذ بلمحاته الشعرية المنثورة، وهى رسائل الحب التى كان يبثها إلى أخر معشوقاته، وكان يكتبها تحت عنوان «ساعات» فى صحيفة الجمهورية التى كان يرأس تحريرها، وفى قصاصات أوراقه التى صدرت بعد وفاته فى كتاب بعنوان «حبيبتى» وعلى ما يبدو أن هذه الرسائل ظلت حبيسة مكتبه دون أن تطاوعه نفسه على نشرها فى حينها لأسباب خاصة مجهولة!

قلبه ساحة للانقلابات

يقول مصطفى أمين فى كامل الشناوى العاشق: «كان برغم بدانته سريع التنقل خاصة فى حبه وهواه، وقلبه مثل برامج السينما التى تتغير كل أسبوع، وكل رواية تعرض على شاشة قلبه هى «آخر صيحة» وهى «أقوى ما عرض حتى الآن» فإذا انتهى عرض الفيلم، ارتدى الفيلم الجديد نفس الثوب، وتخلى بنفس الأوسمة والنياشين، وفى الفترة التى كان يحب فيها كامل الشناوى، يصف محبوبته بكل الأوصاف الحلوة والنعوت الضخمة، ثم ينسدل الستار على المعشوقة فجأة وتحل مكانها المعبودة الجديدة، وهكذا كان قلب كامل الشناوى مثل جمهوريات أمريكا اللاتينية، مليئة بالانقلابات والتغيرات»!.

ولأن الإنسان مطبوع على الحب طفلا وصبيا وشابا وكهلا وشيخا لذلك عرف كامل الشناوى الحب فى كل دورات حياته تباعا، فحتى المطربة الصغيرة، وهى كانت أشهر محبوباته وآخر معشوقاته وهو فى معمعة الكهولة، نظم فيها شعرا ملتهبا مشبوب العاطفة، كما سبها نثرا صارخا كضربات ملاكم جبار! .

عن حبه الأول يقول: «لست أذكر على وجه التحديد كيف كانت قصة حبى الأول، كل ما أذكره أننى كنت صبيا لم أدخل بعد مرحلة الشباب، كان حبا ساذجا لم ينته إلى غير الشوق والنسيان، كانت تربطنى بها أواصر قربى، كنا نلتقى فى منزلنا كل يوم أحسست نحوها شعورا غامضا، وجدته يدفعنى إليها وفى الوقت نفسه يبعدنى عنها كنت أتمناها زوجة، ولكنى كنت أتهيب أن أهمس إليها بكلمة حب واحدة، كان الحديث يدور بيننا

قصيرا جدا، وحركت هذه الحادثة شيئا حلوا جميلا فى قلبى كنت نسيته لأن العيون حولنا كثيرة كنت صبيا صغيرا لم يزل يخشى الحب وافترقنا ولما كبرنا التقينا مصادفة جمعتنا المفاجأة المدهشة فى منزل الأسرة بعد سنين طويلة من عدم اللقاء كانت حبيبتى قد تزوجت وأنجبت، وفى لحظات هادئة صارحتها بما كان فى نفسى نحوها وأنا صبى، قصصت عليها شعورى زمان، وضحكت هى الأخرى من هواجس نفسى، وقالت إنها كانت تبادلنى نفس المشاعر والأحاسيس فى ذلك الحين ولكن الوقت قد فات، وهكذا دارت بى الأيام دورتها، وكما أحببت فى صباى أحببت فى شبابى وإلى الآن مازلت أتشبث بالحب ولم أكن فى شبابى سعيدا بالحب، ومن هنا يمكن الاجابة عن السؤال: هل أنا مع الحب شقى أم سعيد»؟!.

ذلك كان اعتراف كامل الشناوى يوما عام ١٩٦٠ حب الصبا المكتوم الذى ضاع، وشقاء شبابه بالحب فماذا بقى له من مؤهلات الحب ومشاعره فى كهولته؟

أن يضيع الحب فى مرحلة الطفولة والصبا، فذلك أمر مفهوم فى سيرة كامل الشناوى فربما كان السبب يرجع إلى بيئته الدينية ونشأته المحافظة فى الريف، وربما كان للبدانة والانطواء دخل فيما حدث ثم من منا لم يحب ولم يضع منه الحب فى بواكير العمر؟

ولكن كيف يشقى الإنسان بالحب فى مرحلة الشباب والفحولة، وإذا فشل مرة فى الحب أو أكثر فمن الطبيعى أن يواصل تجاربه العاطفية مع غيرها وغيرهن من المحبوبات حتى يلتقى بالحب ويتواصل معه، لكننا فى حالة كامل الشناوى نكتشف أنه لم يع الدروس المستفادة من تجاربه، وأنه ظل يستعذب الفشل فى الحب أو التعلق بأوهام الحب!

يقول أنيس منصور: أنا لا أصدق كثيرا ما يقوله الشعراء لأنهم يتغنون

بالعذاب والهوان ويجدون لذة فى ذلك، وإن حاولت أن تمد يدك لواحد منهم فانه لن يطاوعك وسوف يسخر منك لأن الشاعر لا يريد علاجا لعذابه، بل عذابه هو العلاج، وشقاؤه هو الشفاء ولذلك فأنا أصدق كامل الشناوى ألف مرة عندما يقول:

أنا عمر بلا شباب وحياة بلا ربيع
أشترى الحب بالعذاب أشتريه فمن يبيع

obeikan.com

فتاة المعادى

الشائع عن كامل الشناوى فيما رواه عن نفسه، أن أول حب قاهرى فى حياته كان فى مقتبل العشرين من عمره وزمانه عام ١٩٣٠ ومكانه المعادى، واسم محبوبته مدموزيل «س».

كانت «س» آية فى الجمال والرقة، رقة العود والصوت والسلوك، لكنها تختلط فيها الكلمات العربية بالفرنسية فتتحول على شفتيها موسيقى وسحرا!

ذهب إلى خالها يتلقى على يديه دروسا فى اللغة الفرنسية استعدادا لدراسة الحقوق فى «السربون» بعد أن تيقن والده الشيخ سيد الشناوى أن ابنه فاشل لا محالة فى الاستمرار بالدراسة على غراره فى صحن الأزهر الشريف.

فلما التقى بالمدموازيل «س» عدة مرات انفردا، وبحث عن الشيطان ثالثهما كما تعلم فى الأزهر، لم يجد أمامه سوى لوحة ربانية لا شرقية ولا غربية، لكنها مزيج حضارى فريد ونبيل، كانت قطعة من الفن والجمال والثقافة من الحقيقة والخيال، كلماتها تغريد، وسكناتها نسائم ونظراتها ضياء الفجر!.

من أجلها خلع العمامة من قلبه وعقله قبل أن يخلعها عن رأسه سمع منها لأول مرة عن نظرية «داروين» وأسمعته السيمفونية الخامسة لبيتهوفن وعلمته أصول الاتيكيت وفتحت أمامه آفاقا رحبه على دنيا جديدة!.

لم تخل مواقفه معها من طرائف ومآزق كان أول الأمر يسير معها فيسبقها ويسرع حتى تظل خلفه كعادة الرجال مع النساء فى عائلته، وإذا قابلها أحد معارفها ابتعد عنها، فتناديه فيأتى خجلا كأنه ضبط فى

موقف شائن!

ورأى الرجال فى عائلة «س» يقبلون أيدى النساء وفكر فى أن يقلدهم، وعندما التقى بها نسى نفسه وهو يقبل يدها، فهم برفع يدها على جبهته كما يفعل عادة مع والده ووالدته وعمه، لكنه أدرك حرج الموقف بسرعة وتوقف!.

وكامل الشناوى تغزل كثيرا فى محبوبة الصبا بشعر مزيف لا يعبر عن نفسه، كان فى جملته تقليدا لمعانى وألفاظ الغزل التى قرأها فى قصائد الشعراء، فهو قد شكا من الهجر وهى تلازمه، وعبر عن الغيرة ولم يكن هناك أحد سواه، بعث إليها بالسلام على جناح النسور وهى بجواره!

لكن ما أن افترقا حتى اختلى بنفسه وهو يسترجع السعادة والنشوة ساعات اختلائه بها، وذلك النور الذى كان يشع من ملامحها، وسحر حديثها ورقتها ويقول كامل الشناوى إن أول قصيدة نظمها فى حياته تعبر عن مشاعره الحقيقية كانت فى محبوبة المعادى المودموزيل «س»:

المعادى أو نفحة من هواها ... تودع النفس فى شذاها الشجونا
المعادى فقد تركت فؤادى ... فى رباها مشردا مجنونا

الغانية روز

على أن كامل الشناوى روى أنه هم بالزواج عام ١٩٤٥ وكانت المحبوبة إحدى قريباته وهى فى الوقت نفسه حفيدة الكاتب الصحفى الشهير محمد التابعى، وقد وصفها كامل الشناوى بكونها بارعة الجمال ورقيقة...خجولة... شديدة الأنفة... منطوية على نفسها...

وعندما أبرقت العائلة إلى التابعى تطلب موافقته وكان فى رحلة صيفية بالخارج، كان رده بالاعتذار عبر تأجيل الموضوع برمته إلى حين عودته.

ومرت شهور، وبينما كان التابعى وكامل الشناوى فى ضيافة السيدة أم كلثوم بمصيف رأس البر.. أختليا وكل منهما لديه ما يقول للآخر وبادر التابعى قائلا: تريد يا كامل أن تسألنى لماذا عارضت زواجك من «.....»؟

قال: نعم.

قال التابعى: أنت يا كامل مولع بالسهر طول الليل تقوم الليل كله وتنام النهار كله... فماذا تفعل زوجتك الشابة طول الليل و.. وافقه على استبعاد فكرة الزواج!

وقد ظل كامل الشناوى يختزن بالألم ذكرى تلك الواقعة التى لم يعرف بها أصدقاؤه وكثير من أقاربه، وبعد عشرين عاما تذكر الفتاة التى كان يرنو إلى الزواج بها، وكيف اضطر أهلها إلى الإسراع بزواجها عندما أدركوا تعلقه بها وتعلقها به، وكتب قصيدة يقول فيها:

كل مــا أذكــره إنا انتــهــينا   وتــولانــى الــضـــيـــاع
حـــين أبـصــــرت الــوداع   لا تـثـــر حــولـى ضـجـــة
فلقـــد أصـــبـــحت زوجـــة

ويروى أصدقاء كامل الشناوى أن أعمق قصة حب مكتملة الأركان خاض تجربتها فى السابعة والعشرين من عمره وهى التى أطلقت ملكاته الشعرية الرومانسية من عقالها العاطفى، وفجرت مشاعره المكبوتة، وأججت فيه عزائم الرجولة، فلم يعد يأبه لا بالتقاليد ولا بالشهرة أو المكانة الاجتماعية!

حدث ذلك عام ١٩٤٧ وكان لا يزال يملأ الدنيا أملا وشعرا عذبا حالما وكانت محبوبته غانية اسمها «روز» وكان اللقاء فى كباريه بديعة مصابنى.

كان قد ذهب إلى هذا المكان مع جمع من أصدقائه يستروح من عناء العمل الصحفى، فوجدها تتهاوى على مائدته، وكان الصحفيون آنذاك لهم من الأهمية فى هذه الأمكنة الليلية ما لأثرياء الحرب وتجار القطن والعمد وجنود الحلفاء من جاذبية مادية، ودون الدخول فى تفاصيل العلاقة وكيف انتهت إلى فراق، كانت له كعادة الشعراء العرب القدامى ما يشبه الوقفات أو الزيارات للأطلال العاطفية، كلما استبد به الحنين إلى ماضى الفحولة والعطاء العاطفى المتبادل.

اصطحب كامل صديقاً له إلى «روز» فى أوائل الستينيات لبنانية الأصل أوروبية السلوك، ورغم أنها كانت فى العقد الخمسين، ألا انها كانت لا تزال تضج بالحيوية والنشاط والجمال والدلال رغم بصمات السهر التى تخلفت حول عينيها، وتحول شعرها الذهبى إلى كالح اللون، وأن قوامها رغم اكتنازه لا يزال يتقن فنون التثنى والإغراء والغواية.

كانت روز تملك وتدير بارا «حانة» يحمل اسمها فى أحد الممرات الجانبية عند تقاطع شارع شريف مع شارع ٢٦ يوليو بوسط القاهرة و... إزيك يا كامل بك وإزيك يا روز وضحكات مجلجلة وانطلقا سويا فى حديث الذكريات الودود المتبادلة مما كان يصلنى فى المكان البعيد الذى جلست فيه حتى لا أقطع عليهما خلوة الحب الغارب.

ويستعيد يوسف الشريف بعض ذكرياته فيقول:

«لم أسأله عنها ولم أكن أعرف علاقته السابقة معها حتى جمعتنى الظروف به صيف عام ١٩٦٣ فى شقته التى استأجرها فى حى الأزاريطة بالأسكندرية، وكان قد فرغ من لعب «البوكر» مع بعض أصدقائه الفنانين وراح يداعبهم بسخرياته وآيات ظرفه، أذكر بينهم المذيع جلال معوض وزوجته الفنانة ليلى فوزى، والفنان صلاح ذو الفقار وحرمه، والسيد بدير وزوجته المطربة شريفة فاضل، وتحية كاريوكا والناقد الفنى جليل البندارى.

تحية كاريوكا التى كانت تعرف الكثير عن مغامرات كامل الشناوى العاطفية مع الفنانات والغانيات، طلبت منه فجأة أن يروى قصيدة «العيون» التى نظمها فى محبوبته الغالية روز وفى نبرات متوهجة بالألم وذكريات الشباب الغض الإهاب عرفنا أن قصته العاطفية معها انتهت كالعادة إلى فراق... قال:

لا وعينيك يا حبيبة روحى
لم أعد فيك هائما فاستريحى
سكنت ثورتى، فصار سواء
أن تلينى، أو تجنحى للجموح
واهتدت حيرتى، فسيان عندى

أن تبـــوحى بالحب أو لا تبـــوحى

وخـــيـــالى الذى ســـمـــا بك يومـــا

ياله اليـــوم من خـــيـــال كـــســـيح

وإلى نهاية القصيدة التى يقول فيها:

لا وعـــــــــــيـــنـــيـــك !

مـــــا سلوتك عـــــمـــــرى

فـــــاســـــتـــــريحى

وحـــــــــــاذرى أن تـــريـــحـــى

obeikan.com

الفنانة كاميليا

الشائع أن أغنية «أنت عمرى» كانت أول لقاء فنى مشترك بين عبد الوهاب وأم كلثوم، وهذا غير صحيح، فقد سبق هذا الحدث لقاء آخر كان موضوعه الفنانة الجميلة كاميليا.

كان ذلك عام ١٩٤٥ والمناسبة عيد ميلاد أحد أصدقاء كامل الشناوى الذى لبى الدعوة وبصحبته الفنانه السينمائية الفاتنة كاميليا، وكان بين المدعوين السيدة أم كلثوم وعبد الوهاب وتوفيق الحكيم ومصطفى أمين وفكرى أباظة والدكتور عبد الوهاب مورو.

حاولت أم كلثوم أن تداعب كامل الشناوى فاتهمته بأنه يتحيز فنيا لكاميليا ويحابيها باهتماماته الصحفية، وحاول أن يقطع عليها طريق السخرية فاعترف أمام الجميع بتحيزه لكاميليا عاطفيا، لكن أم كلثوم أحرجته وقالت: إذن فقل فيها شعراً من وحى اللحظة.

وعلى الفور بادر محمد عبد الوهاب وقال: أنا مستعد كذلك لتلحين هذا الشعر فورا وقالت أم كلثوم وفى هذه الحالة أعلن استعدادى لغناء اللحن فى الحال!

ولما وافق الحاضرون على هذا الرأى، لم يجد كامل الشناوى بدا من أن ينتحى جانبا حتى فرغ من نظم أبيات من الغزل فى كاميليا وقال فيها:

لست أقوى على هواك ومالى

أمل فيك فارفقى بخيالى

إن بعض الجـــمـــال يذهل قلبى

عن ضلوعى فكيف كل الجـــمـــال

وقرأ عبد الوهاب القصيدة ولحنها على العود وغنتها أم كلثوم واستعادها الحاضرون مرات حتى مطلع الفجر..

ولم تكن كاميليا تفهم العربية الفصحى، فكان توفيق الحكيم يترجم لها الأبيات إلى الفرنسية.

والمتتبع لقصة كامل الشناوى العاطفية مع كاميليا يلاحظ أمرين لهما ماوراءهما من الدلالات والمعانى فهو والملك فاروق كانت لهما علاقة بالفنانة كاميليا، وعلى ما يبدو أن ذلك ماتشى به آخر قصائده عند افتراقه عنها، وهو شعور مزيج من الكبرياء والإحساس بالخطر:

ياكبريائى لقد كلفتنى خطرا

فيك المنايا مطلات بأنياب

تمرد الليل لا أغفو به أبدا

حتى أرى الفجر مسفوحا على بابى

بعدها ارتبط كامل الشناوى بعلاقات عاطفية طائشة فى غالب الأحوال، بعد أن أعياه البحث عن شبيهة لمحبوبة المعادى المدموزيل «س» فى رقتها ونحافة عودها وكان يسمى هذا اللون والشكل من الجنس اللطيف تارة «كوكيت» وأخرى «منيون» بل إن صديقه الشاعر صالح جودت نظم قصيدة بعنوان منيون أهداها إلى نجاة الصغيرة إرضاء لصديق صباه كامل الشناوى وفيها تخاطب الفتاة المنيون حبيبها البدين قائلة:

أحبه.. أحبه.. ويزدهينى حبه

و«فـرته» تعـجـبنى «قلتى» تعـجـبـه

كـأننى فى إصـبـعـه حـينمـا أقـربه

سـيـجـارة تؤنسـه.. تدفـئـه.. تلهـبـه

كـأننى عـصـفـورة.. زقـزقـتى تطربه

يضـمنى فى يده.. ويحـتـوينى جـيـبـه

أكـاد من تيـهى به آكله.. أشـربه

والشاهد أن علاقات كامل الشناوى العاطفية بهذه الأحجام والأنماط الأنثوية التى عرفها فى كهولته لم تتجاوز الحب الروحى أو الرومانسى لا الحب الحسى أو الجنسى على حد وصف الشاعر العربى القديم:

أهوى الملاح وأهوى أن أجـالسـهم

وليس لى فى حـرام منـهم وطر

كـذلك الحب.. لا إتيـان مـعـصـيـة

لا خـيـر فى لذة.. من بعـدها سـقـر

شاعر أحب الخائنات

عندما صدر ديوانه الوحيد «لا تكذبى» كان بمثابة صرخة ضد خيانة المرأة، حتى أن الشاعر الكبير صالح جودت كتب مقالا تحت عنوان «شاعر يحب الخائنات» وأحصى عدد محبوباته فى الديوان بأكثر من قصائده الثلاثين وصفحاته التى لم تتجاوز ١٠٦ صفحات وكتب أحد النقاد يقترح على كامل الشناوى تغيير العنوان من «لا تكذبى» إلى لا تكذب، ربما لأنه يتقاسم المسئولية فى خيانة محبوباته، عبر عجزه عن إرواء عطش تلك الأنماط الأنثوية البرعمية.

على أن أول بيت فى ديوانه كان بداية النهاية لأكبر وأعمق وأشهر قصة حب فى حياته كلها:

لا تكذبى إنى رأيتكما معاً ... ودعى البكاء فقد كرهت الأدمعا

ما أهون الدمع الجسور إذا جرى ... من عين كاذبة فأنكر وادعى

والحديث عن بطلة القصيدة كثير، ومتناقض، فمن قائل أنه ضبطها متلبسة بخيانتها العاطفية مع صباح قبانى مدير تليفزيون دمشق أو شقيقه الشاعر نزار قبانى، ومن قائل أنه المخرج عز الدين ذو الفقار، بينما الكثيرون يجزمون أنه كاتب أديب شاب يعتبره النقاد أقدر من كتب القصة القصيرة فى مصر والوطن العربى «قيل يوسف إدريس».

ومن عجب أن هذا الأديب التقى يوسف الشريف بعد صدور كتابه «آخر ظرفاء ذلك الزمان» حول سيرة حياة أستاذنا كامل الشناوى وبادره فيما يشبه العتاب لأنه لم أذكر اسمه صراحة، باعتباره الخائن فى قصيدة لا تكذبى، وكتب اعترافه فى حينه بمجلة روز اليوسف!

يقول يوسف:

أذكر أوائل عام ١٩٦٣ أننى صحبت كامل الشناوى إلى حلوانى «جروبى» حيث دفع فاتورة مشتريات مائة وخمسين جنيها، وإذا بثلاثة عمال يحملون أمامنا إلى سيارة «بوكس» صناديق الجاتوه والبتى فور وتورتة ضخمة بيضاء ذات عدة أدوار لم تقع عيناى على مثلها سوى فى الأفلام السينمائية.

كانت المناسبة عيد ميلاد مطربة مشهورة «منيون» صغيرة الحجم، رقيقة الصوت، وإلى شقتها بالزمالك، دخلت مع كامل الشناوى حيث كان المدعوون محدودى العدد من الأصدقاء والصحفيين والفنانين والأقارب.

فلما جاءت لحظة إطفاء الشموع، إذا بمحبوبة كامل الشناوى وملهمته تختار كاتب القصة القصيرة وتمسك بيده ليساعدها فى قطع التورتة بالسكين، وكأنها كانت تقطع فى أوصال قلب الشاعر الكبير، وحاول طوال الحفل أن يستر ألمه وإخفاقه وفشل، وهو الذى دخل الحفل منذ قليل هاشا باشا يكاد يرقص طربا ومرحا، ولم يحتمل الموقف فانصرفنا وكان لايزال فى الليل ساعات.

ذهبنا إلى شقة الشاعر عبد الرحمن الخميسى فى حى معروف وكان مفلسا، ومن النافذة نادى جاره الفنان سعيد أبو بكر وقال له إن كامل بك فى ضيافته.. وهات معاك أربعة كيلو كباب وأى حاجة نشربها! لكن كامل الشناوى لم يتناول غير قطعة واحدة من اللحم دون أن تلامس الكأس شفتيه، إذ كان فى حالة لم أعهده فيها من قبل على مدى السنوات العشر التى لازمته خلالها فى أخريات حياته.عيناه مغرورقتان بالدموع وقد امتقع وجهه، وكف عن أجمل صفاته ومواهبه.. وهى الحكى والسخرية وآيات ظرفه حتى خشيت أن يحدث له مالا تحمد عقباه وبعد قليل طلب من فكرى الجوهرى مدير أعمال الخميسى أن يحضر له تاكسى ولاحظت أنه

على غير عادته لم يدعى إلى مصاحبته و.... هناك فى شقة المطرية الصغيرة قالت لى باتعة مديرة منزل كامل الشناوى وكاتمة أسراره.. دق الباب فتحت الخادمة، لم يستأذن فى الدخول.. حتى رأى كل شيء ماثلا أمامه يستحيل إخفاؤه أو إنكاره!

وبينما أقرأ بابه الأسبوعى فى صحيفة الجمهورية «ساعات» أدركت ما حدث رغم أنه غير فى بعض التفاصيل وأغفل ذكر الأسماء: «كان المفروض أن أكون معهم أشاركهم الاحتفال بعيد ميلادها. فهى صديقة وهم أصدقائى. ولكنهم نسوا أن يدعونى إلى الاحتفال وتداركوا نسيانهم فذكرونى فى سهرتهم، وقدموا إليها هداياهم وكانت سيرتى أبرز مافى الهدايا، وضعوا أمامهم التورتة، ومع التورتة مزقوها بالسكين»!

قال لى الأستاذ مصطفى أمين إنه الوحيد الذى استقبل كامل الشناوى فى أعقاب فاجعته العاطفية فى مطربته الصغيرة، ولما حكى لى القصة بكل تفاصيلها المثيرة حرضته على أن يجسد مشاعره فى قصيدة، فكانت دموعه تختلط بحبر القلم الذى يكتب به، ثم حرضته بعد اكتمال القصيدة على أن يقرأها على مطربته الصغيرة فى التليفون حتى يشفى غليله، وقرأ عليها القصيدة وهو يكاد ينتحب، وعندما انتهى قالت وكأن الأمر لا يعنيها: كويسة خالص.. ممكن أغنى القصيدة دى يا كامل بك»؟

المعروف أن إحسان عبد القدوس كتب قصة الشاعر الكبير مع محبوبته فى جريدة الأهرام تحت عنوان «وعاشت بين أصابعه»، وقالت لى السيدة نرمين القويسنى مديرة مكتب الأستاذ إحسان إن المطربة الصغيرة ألحت عليه أن يغير من بعض التفاصيل وكان قد نشر من القصة فصلين، لأنها فوجئت بلعنات الناس تنهال عليها عبر التليفون، وفى خطابات الذين قرؤوا القصة وعرفوا العذاب والآلام التى عاناها كامل الشناوى فى حبه من طرف واحد، بل إنها عادت وطلبت شراء القصة بعد نشرها لإنتاجها

فى فيلم سينمائى بشرط ألا تسأل لماذا لم تشرع فى إنتاج هذا الفيلم ورفضت أسرة إحسان العرض.

على أن كامل الشناوى لم يتوقف عن هجاء محبوبته شعرا ونثرا.. فهو القائل فى القصيدة التى غناها عبد الحليم حافظ:

حبيبها لست وحدك ... حبيبها أنا قبلك
وربما جئت بعدك ... وربما كنت مثلك

* * *

فلم تزل تلقانى ... وتستبيح خداعى
بلهفة فى اللقاء ... برجفة فى الوداع
بدمعة ليس فيها ... كالدمع.. إلا البريق!
برعشة هى نبض ... بغير عروق
حبيبتى وروت لى ... ماكان منك ومنهم
فهم كثير.. ولكن ... لا شئ تعرف عنهم

ثم ينهى القصيدة قائلا:

ما أنت ياقلب؟ ... قل لى:
أأنت لعنة حبى؟! ... أأنت نقمة ربى؟
إلى متى أنت قلبى؟

وفى رسائله النثرية الكثير من ألوان هجائه لمحبوبته «المنيون» التى يصفها بقوله: إنها تحتل قلبى، وتتصرف فيه كما لو كان بيتها.. تكنسه، وتمسحه، وتعيد ترتيب الأثاث.. وتقابل فيه كل الناس.. شخص واحد تهرب من لقائه.. صاحب البيت!